الفصل الرابع

الطفل القائـد.. مظاهر وسلوكيات

ويشتمل على النقاط التالية:

طرق استيعاب الطفل القائد لمهارات القيادة:

- أولا: النموذج أو القـدوة
- ثانيا: التقليـــد
- ثالثا: الثواب والعقاب
- رابعا: الحرمان العاطفي والجنوح

الفصل الرابع

الطفل القائد.. مظاهر وسلوكيات

يعتقد البعض أن السلوك القيادي ما هو إلا موهبة تولد مع الفرد، أما البعض الآخر وهم مجموعة من الخبراء في التربية وعلم النفس يؤكدون أن السلوك القيادي مكتسب من البيئة ويمكن تعزيز هذا السلوك وتنميته لدى الطفل حتى يكتسبه بمرور الوقت، وتعد الأسرة والمؤسسة التعليمية من أبرز الأماكن التي يكتسب فيها الطفل هذا السلوك.

وتبدأ روح القيادة عند الطفل في أسرته، حيث يفرض بعض الأطفال سيطرتهم على من حولهم ويفرضون عليهم آراءهم، وقد يعود ذلك السلوك إلى الأب الذي منح الطفل هذا التصرف حال غيابه عن البيت، وقد يعود أيضاً لشعور الطفل في داخله بأنه الأفضل بين أقرانه، لذا وجب عليهم تنفيذ أوامره. وروح القيادة عند الطفل شيء طيب إذا لم تتعد حدودها بالعنف والقسوة والسيطرة. فالطفل القائد من أبرز سماته أنه يقود بحكمة ورؤية سديدة وسعة أفق.

والقيادة كما هو معروف هي المقدرة على رئاسة الأفراد وتوجيههم، وتؤتى إما بالقوة والسيطرة والسطوة، وإما بالحكمة والعقل الرشيد. والقيادة بالنسبة للطفل تكتسب من خلال سلوك القادة من حوله، مثل: الأب، الأم، المعلم، مدير المؤسسة التعليمية.

والطفل القائد له شخصية مميزة يجب أن تحسن الأسرة استثمارها في الاتِّجاه الصحيح حتى تثمر فرداً ذا حكمة وبصيرة؛ يحسن التصرُّف في العديد من المواقف، محبوبًا لديه القدرة على التعامل الإنساني، وهذا ما تسعى إليه برامج التربية الحديثة، ويوضح الدكتور/ رمضان درويش: أن سمات الشخصية القيادية التي تكون ظاهرة لدى الطفل من خلال

الجرأة في التعبير عن الرأي، ومواجهة المواقف الصعبة، وعدم الخجل والمبادأة والمخاطرة المحسوبة، والجرأة في اتِّخاذ القرار، والثقة في النفس والقدرة على تحمُّل المسئولية، والتفوق العلمي والخلقي والاجتماعي والإقدام والشجاعة. ولكن هذه السمات تفتقر إلى التروِّي والتفكير، ولذلك فإنَّ على الوالدين أن يُتْقِنا فنَّ التعامل مع طفلهم القيادي وترويض تلك الصفات فيه بشكلٍ ينمِّي ويهذِّب لديه هذه الخصائص.

وأكِّد على أنَّ اتباع الأسلوب الديمقراطي في التعامل مع الطفل القيادي ووجود مساحة من التسامح والحرص على الإنجاز والاستقلالية؛ من شأنها تنمية وإبراز سمات الشخصية القيادية لدى الطفل، بينما يؤدِّي العنف والقسوة والقمع والديكتاتورية من الوالدين أو الإهمال والرفض والنبذ إلى كَبْت الشخصية القيادية للأبناء وقد تُحوِّلها إلى شخصية سيكوباتية وتستبدل شخصيتهم القيادية إلى أخرى عدوانية متسلطة تميل إلى العنف والإيذاء.

إذن يجب على الأسرة إكساب أطفالهم عدداً من المهارات كي يكونوا قادة في المستقبل، مثل: تنمية إبداء الرأي، والتعبير عن الذات، وتحمل المسؤولية، واتخاذ القرار... وغيرها من المهارات ولا يتحصل ذلك إلا بتوفير الاستقرار الأسري والأمان النفسي والعاطفي. وأن تكون الأسرة قدوة حسنة لأطفالهم في تحلِّيهم بتلك الصفات بداية حتى يكتسبها الطفل بسهولة ويسر.

ولكن ما الطرق التي يستطيع الطفل من خلالها اكتساب تلك المهارات السابقة، وتشربها في نفسه بحيث تغدو مظهراً من بنيات سلوكه الحياتي ليكون قائداً نافعاً في مجتمعه؟

طرق استيعاب الطفل القائد لمهارات القيادة:

أولاً: النموذج أو القدوة:

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: 21] وهو خطاب شامل للإنسانية جمعاء، أما الوالدان فهما قدوة الطفل وهما منبع القيم لديه. ومن الضروري أن

يكون النموذج الذي يقتدي به الطفل نموذجاً صالحاً يعبر عن تلك القيم لا باللسان فقط أو بالدعوة إليها؛ بل يجب أن تتمثل تلك القيم في سلوك الوالدين أو من يحتذي بهم الطفل كالمعلم في المؤسسة التعليمية.

فالطفل لا يحتذي بالقول فقط بل يعتبر في النموذج الملاحظ له من خلال السلوك، وقد نبّه المنهج التربوي إلى هذا الفصل بين القول والفعل بالنسبة للنموذج كما في قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: 44].

فمن يتصدى لأن يكون نموذجاً في المجتمع سواء على مستوى النموذج العقيدي أو على مستوى النموذج الأسري أو التعليمي؛ فعليه أن يطابق بين قوله وفعله وإلا فسيكون مظهراً من مظاهر النفاق التي تدعو الآخرين إلى نبذه وعدم اتباعه.

فمن استطاع أن يستحضر سلوكاً حسناً في حياته اليومية فإنه يقدم بذلك النموذج والقدوة الحسنة لأطفاله، لاستيعاب ذلك السلوك ولامتصاص تلك القيم حتى وأن غفل عن الدعوة إليها أو الحث عليها.

فهناك قدر كبير من سلوك الأطفال يكتسب عن هذا الطريق ملاحظة النموذج أو القدوة، وما يؤيد ذلك سلسلة التجارب والبحوث التي دارت حول السلوك العدواني لدى الأطفال حيث تبين أن السلوك العدواني يظهر لدى الأطفال الذين يظهر كلا والديهم أو أحدهما سلوكاً عدوانياً أمام الطفل؛ فيقوم الطفل بتقليد تلك الاستجابات العدوانية مع الآخرين.

وقد يشاهد الطفل نموذجاً لشخصية عدوانية في التلفزيون فيقوم بتقليد ذلك النموذج، وبالعكس إذا شاهد الطفل نموذجاً متسامحاً محبّاً فيقلد سلوك الحب والتسامح، على أن تحظى تلك الشخصية بملاحظة الطفل وعلى تقبلها واستيعابها كأنموذج أو قدوة. فالطفل القائد يتأثر بالنموذج والقدوة التي يكتسب منها مهارات القيادة؛ فلنحرص على أن نكون قدوة أو نموذج صالح أمام أطفالنا.

ثانياً: التقليـــد:

يكتسب الطفل كثيراً من سلوكيات القيادة من خلال التقليد، والتقليد آلية مهمة في نمو الطفل ونضجه فعن طريق تقليد الحركات الصحيحة يتعلم الطفل المشي، ويكتسب المهارات اللغوية والمعارف والسلوكيات الاجتماعية المقبولة، وسلوكيات النمط الجنسي الذي ينتمي إليه، والعادات الصحية السليمة وغيرها.

ويمارس الطفل تقليد أفعال الآخرين منذ الأشهر الأولى، وهو يعتمد في البدء على الملاحظة المباشرة للفعل، ثم يتطور تقليده للفعل من خلال احتفاظه بصورة ذهنية للفعل يسترجعها في وقت لاحق، فنرى الطفل وقد بدأ في محاولات تقليد حركات الآخرين أو وضعيات جلوسهم في أفعال لا تخلو من الطرافة، فالطفل حينما ينجح في تقليد فعل ما فإنه يشعر بمتعة كبيرة لأن هذا الفعل أصبح له، ومن الآن فصاعداً يستطيع استخدامه متى يشاء، ولا شك أن كل مهارة يكتسبها الطفل تمكنه من التكيف السليم مع المحيط، وتزيد من شعوره بإمكانية السيطرة على البيئة.

ومن المهم أن نشير إلى أن اكتساب الطفل لمهارات القيادة عن طريق تقليد الآخرين، مثل مهارات: الثقة بالنفس، وتحمل المسؤولية، واتخاذ القرار، والتعبير عن الذات، أو أي مهارة أخرى لا تتناقض مع تنمية شخصية الطفل المستقلة، بل بالعكس فإن الطفل من خلال اكتساب تلك المهارات يشعر بأنه أكثر استقلالاً من خلال سيطرته على البيئة المحيطة، ومن خلال تأكيده على ذاتيته التي تستطيع أن تقوم بما يقوم به الآخرون الأكبر منه سناً.

ثالثاً: الثواب والعقاب:

يستخدم الثواب والعقاب كآلية لترسيخ القيم أو إحلال قيم جديدة محل قيم أخرى غير مرغوب بها على نطاق واسع من قبل الآباء والمربين؛ فيكافئ الوالدان طفلهما حينما يقوم بالسلوك المرغوب فيه كأداء الأمانة أو التعاون مع الأصدقاء أو المشاركة في بعض الأعمال المنزلية، وقد يلجأ الآباء إلى معاقبتهم إذا لم يفعلوا ذلك.

وترى نظريات التعلم وعلى الخصوص النظريات السلوكية بأن الثواب والعقاب لا

يقتصر أثرهما على الاستجابات المعززة أو المعاقبة عليها فحسب، بل أن أثرها يشمل الشخصية ككل؛ فتتكون السمات العامة والاتجاهات والقيم.

ويؤكد المنهج التربوي الإسلامي على ضرورة التوازن بين الثواب والعقاب في تربية الطفل حيث أكدت الروايات الكثيرة على الاعتدال في التعامل مع الطفل فلا إفراط ولا تفريط.

فعلى الوالدين- مثلاً - أن يناسبا بين حجم المكافأة والسلوك المرغوب حتى لا تتحول المكافأة إلى غاية يسعى إليها الطفل من دون الالتفات إلى سلامة السلوك المقبول، وأن يقدرا تماماً موضع المكافأة فلا يغرقا الطفل بالمكافآت، فلا يستطيع أن يعي الطفل أن كان من طبيعة والديه إغراقه بالمكافآت أم أن المكافأة هي نتيجة لسلوكه الصحيح، مع ضرورة أن يتم شرح معنى ذلك السلوك المرغوب؛ فالطفل الذي يكافأ على تحمُّل المسؤوليّة يجب إفهامه أن ذلك السلوك هو السلوك الصحيح، وأن الواجب يحتم عليه عمله ليجازى ليس بمكافأة (مثل قطعة حلوى)، بل أن المكافأة الحقيقية لذلك السلوك هي اكتساب محبة الآخرين واحترامهم، وأن الطفل حينما يقوم بسلوك ما فإنه يكتسب صفته، فالطفل الذي يتعاون مع أصدقائه سوف يسمى متعاوناً، والطفل الذي يؤدي الأمانة سوف يعرف بالأمين، والطفل الذي يتخذ القرار السليم يسمى(قائداً).

ويعتبر المنهج التربوي أن العقوبة العاطفية هي عقوبة مؤثرة وفاعلة ومن الممكن أن تؤدي إلى تغيير السلوك الخاطئ للطفل؛ فإقناع الطفل بأن سلوكه السلوك الخاطئ سوف يؤدي إلى فقدانه لهذا الحب وإلى إضعاف تلك المحبة والمقبولية التي يحوزها من والديه ومعلمه، ومن ثمَّ يمكن أن يأتي دور التأنيب والزجر.

وتتعدد النظريات النفسية الحديثة في تفسير استيعاب الطفل للقيم والمعايير السلوكية أثناء التنشئة الاجتماعية، إلا إنها لا تخرج عن آليات الثواب والعقاب والنموذج أو القدرة والتقليد الذي ينقسم إلى قسمين تقليد شعوري؛ وهو ما أشرنا إليه في فقرة التقليد، وتقليد لا شعوري؛ وهو ما يعرف بالتوحد Identification وهو العملية التي تجعل الطفل يفكر ويشعر كما لو كانت له خصائص شخص آخر وقد تكون هذه العملية لا شعورية إلى حد

كبير، أي أن الطفل قد يتوحد مع نموذج ما ويقيم على هذا التوحد من غير أن يكون على وعي بذلك، فالتوحد ليست عملية تبدأ بإرادة الفرد مثل تعلمه ركوب الدراجة مثلاً، وإنما هي أقرب إلى اكتساب القدرة على التحدث بالجمل بمعنى أنها عملية دقيقة تحدث في العادة من غير أن يكون لدى الفرد قصد شعوري بها.

ويرى بعض الباحثين في دراسة النمو النفسي والاجتماعي للطفل أن مفهوم التوحد يشير إلى عمليتين، الأولى: تتضمن ملاحظة الطفل أنه يشبه الشخص الذي يتوحد معه، والثانية تتضمن مشاركة الطفل لهذا الشخص الآخر في انفعالاته، وهذا الشخص في الغالب أحد والدي الطفل أو معلمه.

وقد أكدت النظريات الاجتماعية إلى أهمية التوحد أو التطابق كمبدأ عام يحكم البعد الاجتماعي في بناء الشخصية، حيث يعرف التطابق على أنه ميكانزم على المستوى اللاشعوري إذ يتقبّل الفرد عادات وأفكار وقيم النموذج الذي سيطابقه، ويتم ذلك غالباً من منطلق الإعجاب بالشخص الأفضل أو الألمع أو الأقوى في أي مجال؛ فالطفل قد يتوحد أو يتطابق مع الأب أو المعلم ويحدث التطابق حين يتمنى الطفل أن يكتسب سمات الشخص الآخر الذي يطابقه.

فالتوحد والتقليد والثواب والعقاب والقدوة أو (النموذج) كل منها يقوم بدور رئيسي في ترسيخ القيم وتنمية المهارات المختلفة، لكنها تفقد فاعليتها عندما لا تتوفر العاطفة الإيجابية تجاه الطفل بصورة كافية أو بشكل صحيح.

فقد أثبتت الدراسات بالفعل أن تبني الطفل لقيم ومعايير الوالدين يعتمد على مقدار الدفء والحب اللذين يحيطان به، وبذلك فإننا نستطيع أن نرى نمو الضمير الخلقي يتضمن عملية توحد، وأن ذلك التوحد يقوى بين الطفل والوالد كلما كان الوالد أشد رعاية وأكثر حباً، ومعنى ذلك أن الطفل الذي يتوحد بقوة مع الوالد يكون أسرع بالطبع في تبني المعايير السلوكية لذلك الوالد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الطفل الذي يتمتع بعلاقة عاطفية دافئة مع الوالدين يكون حريصاً على الاحتفاظ بهذه العلاقة، ويخشى دون شك من فقدانها، فإن معظم الأطفال يقلقهم بالطبع احتمال فقدان العطف والحب

اللذين يتمتعان بهما مع والديهم، ولذلك فهم يحافظون على معاييرهم السلوكية حتى يقللوا من حدة ذلك القلق.

وهكذا تتضح أهمية الحب والتراحم في ترسيخ القيم والمعايير التي يتبناها الوالدان في تنشئة الطفل القائد، فالطفل يحافظ على تلك القيم حتى لا يفقد حب والديه ولكن هذا القلق من فقدان الحب يعتمد أصلاً على وجود مثل هذا الحب، بعبارة أخرى فإن الطفل الذي لا يشعر بحب والديه لا يكون لديه ما يخشى فقدانه، وبالتالي فإنه يصعب أن نتصوّر في هذه الحالة كيف يمكن أن يصير هذا الطفل قائداً في المستقبل.

وبالمقابل فإن الحب والحنان مواد ليست ذات كم مادي يمكن أن توزن، وبالتالي يمكننا الحرص على توزيعها بعدالة بين أعضاء الأسرة الواحدة أو بما يتناسب مع حالة كل فرد، لكن الحب والحنان والدفء مظاهر متعددة تتجلى من خلال سلوكيات متنوعة، وهذه السلوكيات هي التي أشار إليها المنهج التربوي السليم إلى ضرورة الحرص على العدالة، والعدالة في توزيع العاطفة الأسرية تشمل ثلاثة جوانب من العلاقات الأسرية:

- العلاقة بين الوالدين.
- العلاقة بين الآباء والأبناء.
- العلاقة بين الأبناء.

ولكل جانب من هذه الجوانب صور متعددة أخرى يمكن أن يدرس من خلالها، فقد تكون العلاقة العاطفية بين الوالدين سيئة وقد تكون غير متبادلة كأن تحب وتحترم المرأة زوجها، وهو لا يبالي بها ويعاملها بصورة منفرة وقاسية وتشعر إنها منبوذة وغير مقبولة.

وقد يحدث العكس فيحب الرجل زوجته ويهتم بها ويلبي طلباتها لكنه يشعر بأنها تهمله ولا تبادله نفس المحبة أو نفس القدر من الاحترام، وقد ينزوي الوالدان بعواطفهما مع بعضهما البعض ولا يباليان بالعلاقة مع الأطفال؛ فيشعر الأطفال بأنهم غير مرغوب فيهم أو نهم منبوذون.

ويبدو أن العلاقة بين الأبناء ما هي إلا انعكاس لصورة العلاقة بين الوالدين أو العلاقة بين الوالدين والأبناء أو رد فعل عليها، وأيضاً قد يقلّد الطفل والديه وهما منبع الثواب والعقاب في الأسرة، وبالتالي فإن صورة الوالدين واهتماماتهما هي التي تخلق طبيعة العلاقة بين الطفل وبقية أخوته، بل تتعدى لتشمل علاقة الطفل مع أقرانه في الجماعة المحلية أو المؤسسة التعليمية، ويتحمل الوالدان مسؤولية طبيعة العلاقة بينهم وبين أبنائهم من خلال الاهتمام لتحقيق العدالة وفق قاعدتين رئيسيتين:

- الأولى: بين الأبناء جميعهم بغض النظر عن ترتيب الطفل في العائلة.
- الثانية: بين الذكور والإناث وعدم تفضيل جنس على آخر بالنسبة للأب أو بالنسبة للأم.

فالطفل الأول في الأسرة يكون موضع اهتمام وعناية والديه فيغرقانه بحبهما وعطفهما ويسرعان إلى تلبية جميع احتياجاته، خصوصاً وأن العائلة لا تزال صغيرة، فيشعر بالغيرة من قدوم مولود جديد يخطف منه هذه العاطفة الكبيرة والاهتمام الشديد، بل تتحول هذه الغيرة إلى كراهية حينما لا يلتفت الوالدان إلى موضوع تلك الغيرة وأخذها على محمل الجد، بل نجد أن بعض الآباء يعمد إلى زجر الطفل الأول ومعاقبته على تلك الغيرة فيزداد حسد الطفل الأول على أخيه الثاني، بينما يكمن الحل في إشعار الطفل الأول بالحنان والعطف وتحبيبه للطفل الثاني وعلاج هذه الغيرة من خلال المساواة في المحبة والاهتمام، كما أوصى بذلك رسول الله ﷺ «اعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف»، وسواء كانت هذه العدالة معنوية كما في قول الرسول ﷺ «إن الله تعالى يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القُبَل» أو كانت هذه العدالة مادية كما في قوله ﷺ «ساووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضّلت النساء».

ولكي نفهم إشارة النبي الكريم على تفضيل البنت فلو كان التفضيل جائز فلا بد وأن نلاحظ أن البنت في الثقافة التي نعيش فيها تشعر أنها الأضعف أو الأقل حضورا وهذا قد يثير غيرتها، في حين أن الأولاد تقل غيرتهم وذلك لما يتمتعون به من امتيازات في الرعاية والاهتمام.

ومن ناحية أخرى نلاحظ أن حالات الغيرة من المولود الجديد تزداد في الأسر الصغيرة التي يتركز فيها الاهتمام بالطفل من ناحية الوالدين فقط، في حين قد تقل هذه الحالات في الأسر الكبيرة التي يجد الطفل فيها من يعوّضه عن اهتمام الأبوين من أخوال أو أعمام أو جدود أو حتى أخوة كبار.

كذلك قد تقل مظاهر الغيرة إذا زاد الفارق الزمني بين الوليدين بحيث يمكن أن ينظر الطفل الأكبر إلى نفسه كـواحد من أعضـاء الأسرة الذين يمكن أن يشاركوا في رعاية المولود.

إن العاطفة الأسرية حينما تكون فاعلة وقوية وحاضرة لدى الطفل تكون في المقابل أداة تربوية مهمة في تنشئة طفل يتمتع بسمات القيادة النافعة لمجتمعه.

رابعاً: الحرمان العاطفي والجنوح:

لاشك أن هناك علاقة بين الحرمان العاطفي والانحراف أي (الابتعاد عن القيم المرغوبة في المجتمع) حيث ثبت من الدراسات العديدة مدى تكرار التصرفات غير السليمة في مؤسسات رعاية الأطفال المحرومين عاطفياً، كما أن الممارسة العملية تظهر أن معظم الجانحين والمتشردين يعانون من أحد أشكال الحرمان الدائم أو المحدد بفترة زمنية من حياتهم، وأن هذا الحرمان لا زال قوة فاعلة في الآلام المعنوية التي يعانونها والتي تساهم في دفعهم إلى الانحراف والابتعاد تماماً عن اكتساب مهارات الطفل القائد.

وقد تم تقسيم حالات الحرمان العاطفي من حيث الشدة إلى ثلاث فئات أساسية:

أ- الحرمان العاطفي الكلي:

ويقصد به فقدان الطفل لأية علاقة بالأم أو من يحل محلها وذلك منذ الشهور الأولى للحياة، ويترك هذا النوع من الحرمان أثارا سيئة وخطيرة ودائمة على نمو الطفل جسمياً وعقلياً وعاطفياً واجتماعياً، وحينما يكبر هؤلاء الأطفال فإنهم يتصفون بشخصيات قلقة، ويعانون من الخوف في مواجهة ضغوط الحياة ويتسمون بسلوك انقيادي، وعندما يخرجون من المؤسسة التي ترعاهم إلى المجتمع يبدأ عدد منهم في الغالب نشاط جانح، مثل: السرقة

لتأمين الطعام أو يسقطون في شرك العصابات والجانحين المحترفين، فيصبحوا أدوات طيّعة لتنفيذ مآرب أولئك المجرمين.

بـ الحرمان العاطفي الجزئي:

وفيه يمر الطفل في مقتبل حياته بعلاقة مع الوالدين ويعقب ذلك الانهيار الجزئي أو الكلي لهذه العلاقة، وغالباً ما يحدث هذا الحرمان في فترة الكمون وقد يتأخر أو يتقدم، وهو يترك آثارا واضحة على توازن وتكيف الشخصية مستقبلاً، وتتوقف هذه الآثار على أمرين اثنين: السن التي حدث فيها الحرمان، فكلما صغر السن كانت الأضرار اللاحقة بالشخصية أكبر، وعلى نوعية العلاقة السابقة بين الطفل ووالديه قبل الحرمان، فكلما كانت العلاقة سلبية أدت إلى أخطار أكبر من ناحية التوازن العاطفي والتكيف الاجتماعي اللاحق.

ومن أسباب الحرمان العاطفي الجزئي طلاق الوالدين وزواج أحدهما أو كليهما ثانية أو موت أحدهما وزواج الآخر، أو هجر زوجي وسفر إلى أماكن بعيدة، مما يجعل أي فرد عاجز عن تحمّل أعباء الأطفال فيهملهم بدوره جزئياً أو كلياً.

جـ النبذ العاطفي من قبل الأهل:

في النبذ العاطفي يظل الطفل مقيماً مع أهله ويحتفظ بروابط أسرية سقيمة، ولا تنهار العلاقة بين الطفل والأهل إلا بعد أن يجتاز مرحلة الطفولة أو في نهاياتها، وقد تمر العلاقة بين الطفل والأهل بفترات من الوفاق قد تطول أو قد تقصر لكنها تتضمن فترات حرجة من الانتكاسات المتعددة، وهي ما تؤدي عادةً إلى مزيد من التباعد بين الطفل ووالديه.

أسرة الطفل قد تكون متماسكة ظاهرياً وذات سمعة مقبولة اجتماعياً، وتبدو حالة بقية أطفال الأسرة طبيعية، وهذا ما يجعلنا أمام حالة النبذ النوعي الذي ينصب على أحد الأبناء دون غيره، وينتج هذا النبذ إجمالاً عن دوافع نفسيـــة لدى الوالديـــن أو أحدهما أو يكون تعبيراً عن صراع زوجي غير ظاهر، ويبدو الأمر عندئذ وكأن الفرد (الطفل المنبوذ) هو المصدر الوحيد لمعاناة الأسرة ومشاكلها.

ويستجيب الحدث للنبذ في مختلف الحالات بأساليب متنوعة تبعاً للسن والتاريخ السابق والشخصية، وهكذا نلاحظ ردود فعل عدوانية اضطهادية أو ردود فعل تتصف بالتوتر والقلق الشديد أو ردود فعل قدرية تدميرية؛ نحو تدمير الذات ولكن نادراً ما يكون رد الفعل صافياً بل هو يتخذ في معظم الحالات مزيجاً من كل هذه المظاهر.

وبعد هذا العرض الموجز لمفهوم الحرمان العاطفي وأنواعه وتأثيرات كل نوع على جنوح الطفل نتساءل: ما هي الخطوات التي أشار إليها المنهج التربوي السليم لتجنب الأسرة ظاهرة الحرمان العاطفي، التي لا تهدد فقط مصير الطفل وشخصيته بل لها تأثيرات تدميرية على مستوى الأسرة وتخريب البناء والتماسك الاجتماعي؟

في هذا الموضع سنكتفي فقط بالإشارة إلى أهم تلك الخطوات التي تجنِّب الأسرة ظاهرة الحرمان العاطفي وذلك على النحو التالي:

- إشاعة مبدأ التعاطف والتسامح والأخوّة والتكافل والتعاون بين أفراد المجتمع، والحث على ما يزيد من هذه الروابط المبدئية بين مكونات المجتمع سواء أكانوا أفراداً أم جماعات أم مؤسسات وعلى المستويات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية كافة، وهذا ما يجعل الأسرة وأفرادها ضمن نسيج حي من العاطفة الاجتماعية التي يدعو إليها المنهج التربوي السليم.
- الإعداد النفسي والاجتماعي للطفل، وتربيته على التعامل مع الجنس الآخر، ومهمات ووظائف كل جنس ودوره في الحياة.
- اعتبار العاطفة الأسرية الأساس الحقيقي للتكوين الاجتماعي، وإن ضعفها يؤدى إلى خلل اجتماعي يؤثر سلباً في سلوكيات طفل اليوم وقائد المستقبل.

ولكن ما الخطوات التي تقوم بها الأسرة لإكساب طفلها مهارات القيادة ؟

إن أهم ما يمكن عمله لتنشئة الطفل القائد بداية هو تشجيع الوالدين له في كل خطوة يخطوها كي يصبح طفلاً متميزاً ومختلفاً عن أقرانه، ثم تعزيز ثقته بنفسه حتى يمتلك المؤهلات الضرورية للحفاظ على شخصيته المتميزة. ومن المهم كذلك لتنمية الطفل القائد هو وضع عدة أهداف أمام هذا الطفل يعمل على تحقيقها، وبما أن معظم الآباء يتمنون أن

يكون طفلهم قائداً، لذا لزم أن يضع الوالدان مع طفلهما أهدافاً رئيسية وأحلاماً مستقبلية؛ فيكرس الطفل كل جهده في السعي لتحقيق هذه الأهداف، وذلك بالتخطيط الذي يرتبط باحترام الوقت وعدم إهداره فيما لا يفيد. وعندما يعتاد الطفل على التخطيط منذ صغره، سيحرص عليه في كبره ويكون سلوكاً مرتبطاً به حيثما حل. وعلى الوالدين إمداد طفلهما بهذه النصيحة المهمة: إن الطريق نحو تحقيق الأهداف والأحلام ليس ورديا وإنما قد يصادفك بعض العثرات وقد تقع في أخطاء كثيرة، ولكن المهم هو كيف تستفيد من أخطائك، وتتحمل الصدمات التي قد تواجهك بالإصرار والعزيمة، وأن تثق في قدراتك تمام الثقة على أنك يمكن أن تبدأ من جديد، فلا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس.

إن العمل على إعداد طفل قائد يثق في نفسه وفى قدراته، ويتخطى العقبات التي تعترض طريقه صار هدفاً ضرورياً في تربية الطفل في عصر التطورات والتغيرات المتلاحقة.

وإذا أردنا أن نعد هذا الطفل القائد في عصر التطورات والتغيرات المتلاحقة علينا الاهتمام بما يلي:

1- إتاحة الفرصة للطفل للتعبير عن رأيه:

فكثيراً ما نخطئ حين لا نترك للطفل مساحة كي يعبر عن رأيه، وتحويله إلى مستقبل فقط للتعليمات والأوامر، دون إتاحة أدنى فرصة له للتعبير عن أفكاره ووجه نظره.

ولكي يتحقق ذلك يجب علينا القيام ببعض الإجراءات منها:

أ- إشراك الطفل في جلسات داخل أسرته، أو في مؤسسته التعليمية للتعبير عمَّ يشغله ورأيه فيما يدور حوله، ومناقشته فيه. فهذه الجلسات من شأنها تنمى قدرة الطفل على التفكير الناقد والإبداعي.

ب- احترام أسئلة الطفل وتشجيعه عليها مهما كانت هذه الأسئلة، فلا ننهره، ولا نزجره، بل نشعره بالأمان؛لأن هذا يعطي الطفل الأمان ومن شأنه أن يساعد على الاتزان النفسي للطفل، ويزيد من ثقته بنفسه، كما يكتسب من خلاله سلوك الجرأة والإقدام، وهذا يعد أبرز سمات الطفل القائد.

ج- تدريب الطفل على احترام المستمعين من خلال بعض الكلمات الدالة على ذلك، مثل: من فضلك، مع احترامي، تسمح لي بكلمة..... فكل هذه الكلمات تجعل الطفل يحترم الآخرين، ويحسن التعامل معهم.

2- اكتشاف ميول الطفل ومواهبه وتوجيهها التوجيه السليم:

فاكتشاف ميول الطفل يساعدنا على تنمية قدراته، وكذلك معرفة موهبة الطفل تجعلنا نوجه الطفل التوجيه السليم لتفعيل هذه الموهبة، فينشأ الطفل متزناً في جميع جوانب شخصيته.

3- تدريب الطفل للاعتماد على نفسه

إن اعتماد الطفل على نفسه من شأنه أن يغرس فيه بذور القيادة من صغره، لذا من الضروري أن نترك للطفل مساحة للاعتماد على نفسه في ترتيب فراشه، وتنظيف أدواته، واستذكار دروسه... وغيرها من المواقف التي تجعل الطفل يعتمد على نفسه فهي سمة أصيلة في الطفل القائد.

4- إعداد الطفل منذ الصغر على وضع هدف والتخطيط لتحقيقه

إن التخطيط من أبرز سمات الطفل القائد، لذا يفضل تدريب الطفل على التخطيط من خلال وضع هدف قريب المنال، ثم نعلمه كيفية رسم خطة لتحقيق هذا الهدف، مع مراعاة عنصر الوقت حيث يفضل تحديد مدة زمنية لتحقيق هذه الخطة.

5- تدريب الطفل على الإيجابية

حيث يتم استثارة الطفل نحو المشاركة الفعَّالة فيما يدور حوله، سواء برأيه أو بمجهوده البدني؛ فيمكن أن ندرِّب الطفل على تنظيم فصله، وتزيينه، وكذلك تنظيف فناء مؤسسته التعليمية، واحترام علم بلاده... وغيرها من الأمور التي تعلِّم الطفل الإيجابية، كي يكون عضواً فاعلاً في مجتمعه.

إن تدريب الطفل القائد كي يعيش في هذا العالم، أصبح ضرورة يفرضها هذا العصر، فلقد أصبح ضرورة التدريب للتعامل مع الآخرين، والتفكير الإيجابي، والعدل، والتعاون، وإدارة الوقت والتفاعل الإنساني والتقدم في الحياة، والتفكير الإبداعي... وغيرها من الممارسات التي يفرضها الواقع المُعاش.

إن صناعة الطفل القائد، يحتاج منا إلى جهد كبير، وعلينا أن نسعى من البداية إلى تهذيب جوانب شخصية الطفل القيادي من بعض الصفات السالبة كالتحكم في زملائه، والتعالي على الآخرين والأنانية، وفرض الرأي والفكر. وأن ننمِّي فيه روح القيادة السليمة التي تهتم باحترام الذات والآخرين والثقة بالنفس، وتحمل المسئولية والقدرة على الإدارة والتفكير الإيجابي، كل ذلك من أجل خلق فرصة كي يتأقلم الطفل مع هذا العالم. علينا أن نستخرج أجمل وأفضل ما عند أطفالنا حتى يتأهلوا كي يكونوا قادة في المستقبل؛ لأن مهمة تربية وإعداد طفل يتميز بالسمات القيادية، له دور في مجتمعه ووطنه، أصبحت فريضة واجبة على كل من له دور في تربية الطفل. ولكن ما الوسائل التي يمكن أن تساعد من يقوم على تربية الطفل باكتشاف الطفل القائد بسهولة ويسر؟ هذا ما ستجيب عنه الصفحات القادمة.